

جون لوكاري في « أغنية المهمة »:

## ديمقراطية البندقية واموال العولة تتعاون في الكونغو..

# ورحلة مترجم فوري نصف افريقي نصف اوروبي لاكتشاف الخديعة

ابراهيم درويش\*

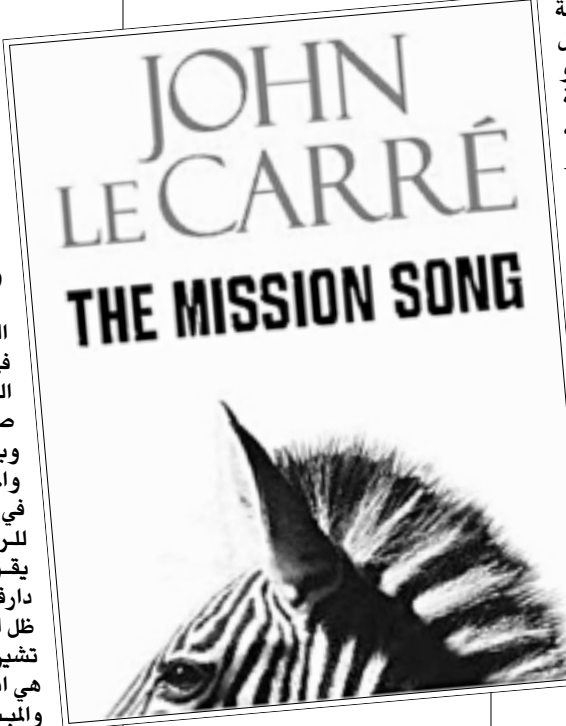
أبراهام درويش\*  
برونو سلفادور المعروف للجميع بيسالغو، رجل متعدد الإستهة واللغات يعرف تقريبا كل اللغات المستخدمة في غرب الكونغو، هذه المنطقة من العالم الغنية ببلجاتها ولغاتها، سالفو ايضا هو جين أو نتاج لزوج بين راهب كاثوليكي وبين امرأة كونغولية ابنة شيخ قبيلة، فهو بهذا المثابة خليط من الأبيض والأسود وبين اوروبا وبين افريقيا. والد سالفو التي تهرب من بيت الرهبانية بعد ان تقوم بولادته وتتركه في رعاية الراهبات نموت مع عائلته بعد قيام مجموعة مسلحة بالهجوم على القبيلة وقتل كل افرادها، وهي هنا نظل لابن لغزنا خاصة ان الراهبات قمن بالعناية به وتعميده في سلك الرهبانية، اما الاب فهو مثل الظل يرافق ابنة بجدته عن الكونغو والحياة. في الكونغو وفي رحلته العملية سالفو مدين للشخصين الاول هو «الاخ مايكل»، الذي يأخذ بيده ويعلمه ويعترف على موهبة سالفو في تعلم اللغات والشاى اندرسون رجل المخابرات الذي يقوم باستخدام سالفو في غرف الاحاديث التي تنبثت فيها الموظفون من معيبتاتهم المصغرة على آخر ما وصلت اليه الحرب في شمال اونغدا أو مذابح رواندا أو نشاطات الاسلاميين في شرق افريقيا.

اندرسون يمارس نسوة المدير الذي يفسر في نفسوس المؤلفين وهو الجواسيس فكرة خدمة هذه الأمة والوطن والملة مع ان سالفو يعرف ان هذه الأمة لم تعد كما كانت، سالفو مزوج من بينالوب ابنة ارستقراطي قررت الزواج من هذا الهجين كرد فعل على زواج اختها من صاحب مرآب السيارات، تعمل بينالوب في صحيفة شعبية كبيرة وتقضي وقتها في البحث عن مصادر لمعلوماتها، يعيش سالفو مع زوجته في حي راق في باترسى جنوب لندن، يعمل اندرسون كل تقاليد مدرسة الجاسوسية البريطانية ومن جهة اخرى تقاليد الماسويين او نوادي الرواى، حيث تتحمل علاقته في معاملته مع سالفو من خلال معاودة اللطاف والقسوة، تماما مثلما كانت معاملة الراهب الاخ مايكل معه، يعمل سالفو مفسرا/ مترجما فوريا حيث يظل دقيقا في التفريق بين المترجم الذي يحتاج الى درج وقاموس ومعرفة قليلة باللغة مقارنة مع المفسر الذي يجب ان يكون ذمته حاضرة في كل اوقات. ومن هنا يرى سالفو ان ميزته من الاخرين، عندما يتعلم الامر بالفتحة وتزعة الفوقية انه كل ما يكون جالسا في الغرفة، غرفة المفاوضات يعرف انه لا يستغنى عن خبرات سالفو في مجال الترجمة، سالفو هو بطل جديد يدخل عالم ابطل كاتب الروايات البوليسية جون لوكارى، الذي لا يزال يحتفظ بألق الكتابة والقدرة على السردي في رواياته الجديدة المصادة في لندن «أغنية المهمة» . يبدو لوكارى في بداية العمل غير قادر على الامساك او تقديم معرفة بل المكان الذي ولد فيه سالفو ولكن مع ملاقفتنا للسرد الروائى نغثر على زمة انتقال لآثار العولة واصحاب الشركات العملاقة في افريقيا التي ترتكز ضد القارة العربية وشروعها الصغىرة، تعيش المجتمعات والديكتاتوريات والاستغلال من قبل القوى الكبرى، في هذه الحالة الشركات المتعددة الجنسيات، والرواية في هذا الاطار غاضبية مختلفة مثل مقام استوائى، هادرة مثل المطر الذي يتدفق من السماء بعد وجبة من الورد الصاحب، وهي في اطار اخر شمسسة محملة بعيق المكان، وبتلنا سالفو

فانصب في البداية على طريقته، يفضي عندما ينتظر زوجته ليحسفل بعيد ميلادها على طريقته الخاصة، ولكنها تتصل به أثناء اعاده للخلقة لكي تقول له ان لاعب كرة يعانى من آثار فضيحة تجعلها تؤخر عودتها للبيت عندها يقوم بجمع مواد الطبخ وكل ما انجزه ويرميه في سلة القمامة ثم يخرج لطعم ايطالي لوجاهه ضخبنا من نوع ما، متقاعدتين، عجزت يتحدثون وهم يتناولون طعامهم حول انتاج جديد لوبرا يابانية في الحديقة العامة، حيث تنتقد عجز العرض، فيما يحاول سالفو التعرف على هويات وخليقات الجاسين في الهواء الطلق ونسيم اخر نهار تموزي في لندن.

لوكارى او بطله سالفو، ينتقد اهمال الصحافة البريطانية لما يحدث في افريقيا. اكثر من 200 الف شخص قتلوا في الحروب الدائرة هناك، بالإضافة لانتشار الامراض والاوبئة، ولكن لا احد يهتم، ويتسال عن مصدر معلومات زوجته التي تعتمد عليها في تقاريرها الصحافية، أشخاص زرعهم وتأخذهم لعشاء مقابل حصولها على معلومات (تماما مثل الخبرين)، منهم عربا، وهوندا.

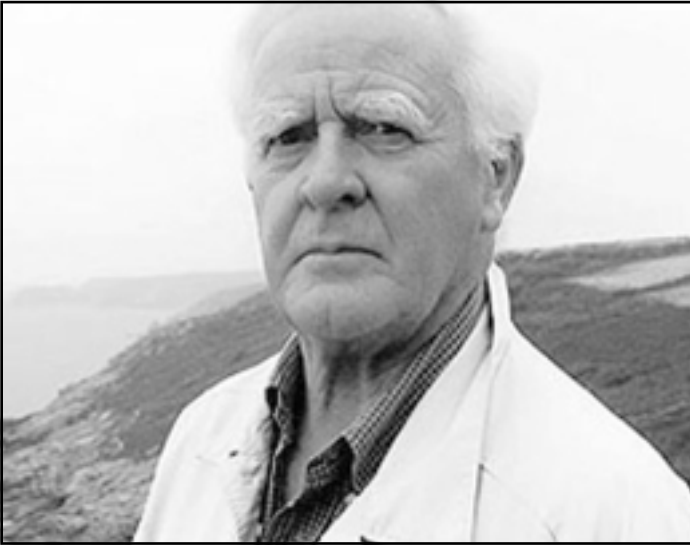
«أغنية المهمة»، هي عن الخيانة، خيانة سالفو واندرسون واكتشافه عندما يجنده الاخر في مهمة يقول انها من اجل بريطانيا والملة، حجم العلاقة بين الدم، دم البرية والمال الذي تحصل عليه الشركات العملاقة، تبدأ مهمة سالفو عندما يتصل به اندرسون وهو داخل حفلة لزوجته بينالوب بمناسبة ترفيعها، ويتحدث اندرسون عن خطورة المهمة ولكن لا يحتاج لتأخير وغير قابلة لذلك، مشكلة سالفو ليست زوجته وحفته وحفلتها بل الجلباس الذي يرتديه، فهو مثل انجليزي قديم خرج لحفلة مع جديته يلبس مايسونغ للعشاء، ليكتشف ان هناك في الحضور من هو في الزي الرسمي والعاى، اندرسون الخبير لديه كل الحلول يؤكد سالفو ان هذه مشكلة قابلة للحل، ويوجهه نحو سيارة تقوده داخل زحام لندن ليلة الجمعة، الى شقة خاض حيث يلتقي مديره فيها مع فتاة جميلة اسمها بريجت تقوم بمهمة توفير الملابس المناسبة، بعد خرب خروج سالفو من حفلة زوجته ويركب السيارة يدخلنا لوكارى في عالمه اليغرى، حيث تدخل في قاع العمليات الذي يبدو خالبا وحقيقيا، وعندما تغير هوية سالفو، برونو سلفغو الى بريان سنكلير، يتلبس سالفو



دوره الجديد، حيث يقاد الى عالم المهمة الكبيرة التي ادخله اندرسون فيها. يلاحظ سالفو ان الهوية الجديدة التي حصل عليها لا تذكر اى شيء من مؤهلاته العلمية، فهو متخرج من مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (سواس) وحاصل على شهادة الماجستير من جامعة انديرة ولديه عدد من شهادات الدبلوم في مجال الترجمة الفورية، كما ان اصله تغير في هذه الهوية الجديدة فهو ابن عامل مناجم في وسط افريقيا بدلا من كونه ابنا لراهب كاثوليكي في الكونغو.

في قلب الرواية «أغنية المهمة» انقلاب يقوم به عدد من خريجي المدارس الخاصة في بريطانيا، حيث يقولون لسالفو ان الانقلاب سيكون انقلابا لينا، عقلانيا وحساسا، وتصلحه الكونغو التي عانت كثيرا في الماضي ولا زالت تنزف الدم والموت منذ ما يقول

جانبية في قصة اثاره قبعه قبوله مهمة



جون لوكارى

مقابلة احد رجال الحرب الكونغوليين ومجموعة من المولين للانقلاب فانه يقع في حبال المهمة التي تعيده لاكتشاف الحقيقة المرة عن بلاده الاخرى. دخول سالفو باسمه الجديد، بريان سنكلير، المهمة يعتبر مدخلا معروفا للوكاري الذي يبدأ بعد ذلك لعبة الاثارة وقصة كلاسكية عن الجاسوسية فيها التامر، والخداع والخيانة.

تحمل الرواية في حسنها واثارتها بعدا اخلاقيا عن العالم الذين يعيشه والتحن الذي يدفعه الاخرون الفقراء مقابل جشع الاخرين/ والبعد الاخلاقى يظهر في روايته الاخرى التي تحولت الى فيلم «المزارع الدائم» عن الامم المتحدة وجنوب السودان وشركات الرواى التي يعيد لها الملك مرض الانيز، كسان الاتصاد السوفياتي المحفز الاساسى في اعمال لوكارى الاولى الا ان موضوع العولة واجتحتها اصبحت تثير حساسة واطاقة لوكارى.

افريقيا أصبحت في الفترة الاخرى مركز الرضى في اهتمام المخبريات والنجوم الذين يحاولون التأثير على صناع القرار، انجليا جولى وبراد خوب وقيلهما بونو والمعركة من اجل انهاء الفقر في افريقيا، واخيرا انضم للركب جورد كلونى الذي يقوم بحملة لصالح سكان دارفور، والقارة الافريقية في ظل العولة الاستعمارية كما تشير الرواية الحالية للوكاري اولى رواياته عن التبشير والبشرى، لم تتغير الكونغو منذ جمهورية الكونغو الحرة، المشروع الذي يذاه الملك ليوبولد الجليكي ولم تتغير منذ ان قرر سارلو بطل جوزيف كونراد ان الموت انتحارا، افريقيا كانت في عهد كونزوتز ولا زالت «ارض الظلمات»، وهي الارض التي تحول فيها الصراع الان بين الشرق والغرب، بين الصين واوربا وامريكا.

ومن هنا فان بطلنا سالفو يستند في عوده الوعى له على علاقته بحنة التي تشير مشاعر الخوف على هذه الارض في داخله، في مقابل تعامله مع «الكتابة»، التي تزعم انها تبثت عن وسائل لتحرير البلاد من سلطة رجالات الحرب وادخال الديمقراطية اليها. كل احداث الرواية تدور خارج افريقيا ويمكن والحالة هذه تحديدها في العام الماضى، حيث يشير الكاتب الى احداث تومز (بوليو) وتجنيرات

الجدار.  
يا بني أُمِّي المتخمين بأمجادكم  
إنني خارج عن قوانين تمّت من صفحة الرمل  
حتى تخوم الخرافة  
عن خيمة ضُربَت بالأقاويل وأمتلات بالشعار.

حلمٌ يملأ النفس لا نجمة في المسار.  
سوف أخذ حق دم يتعَب من جرح هذا  
الخليج المرصع بالماترات التي صُففت حلم  
قلبي وعادات التي كبدني في المطار.

سوف أطلب حقي، وحق الرمال التي فقدت صوتها  
والحروف التي يبست في مهب  
السموات، وأنصت عن  
كلماتي بقايا الغبار.

عندما خلعتني القبيلة لم تدرك أنني قوِّضتْ  
خيمتها  
وهَمَّمت على رأسها كل ما شيدته  
الفوقاني، وأصبحت سيد صحراء تبتدأ  
من صفحة الحلم حتى تخوم المعاني  
التي توجنتني على عرشها  
ولقيت الندامى بمنعرج الموح قد كنوا  
في السجاف

عندما خلعتني القبيلة لم تدرك أنني قوِّضتْ  
خيمتها  
وهَمَّمت على رأسها كل ما شيدته  
الفوقاني، وأصبحت سيد صحراء تبتدأ  
من صفحة الحلم حتى تخوم المعاني  
التي توجنتني على عرشها  
ولقيت الندامى بمنعرج الموح قد كنوا  
في السجاف

عندما خلعتني القبيلة لم تدرك أنني قوِّضتْ  
خيمتها  
وهَمَّمت على رأسها كل ما شيدته  
الفوقاني، وأصبحت سيد صحراء تبتدأ  
من صفحة الحلم حتى تخوم المعاني  
التي توجنتني على عرشها  
ولقيت الندامى بمنعرج الموح قد كنوا  
في السجاف

## هوامش على لامية العرب

محمد جميح\*

[إلى الشغرى نبيلًا في تشرده]

يا بني أُمِّي المترعين بإيامكم يا بني أُمِّي الليلي مطرّزةً عنكمك بالنبيذ ونحن تُرَضُّ أحلامنا بلجراذ وبرر القفار  
ولكم حلماتنا إلى الروم صيفًا، إلى الرمل حين يجيء الشتاء  
ونحن لنا حلم فخفته الليلي على درب روح مشردة في القفار.  
يا بني أُمِّي المتخمين بأوامهمك لم أعد وأحدًا منكُم  
أصدقائي:  
الرياح التي نشرت عرق الروح فوق الشعب التي جضنت نيل جوعي  
الرمال التي بللت بالسراب تسكع وجدي الكهوف التي للمت لي شظايا حنيني  
الحروف التي نسجت حول قلبي خيوطاً تصد مكائيكم  
والقصيدة إذ أتمترس في لهماه وأغير عليكم حروفاً ونار.  
أيها المضرمون حطب الوهم حول مضاربكم